مقدمة

هذا الكتاب له قصة.

بعد أحداث ١١ سبتمبر الدامية التى دمرت مركز التجارة العالمى فى نيويورك أعظم مبنى فى العالم، واقتحمت مبانى وزارة الدفاع الأمريكية فى واشنطن أكثر المواقع فى العالم تحصينا.. وجدت نفسى أتساءل - كغيرى فى العالم العربى والإسلامى - ماذا حدث، ولماذا، ومن؟

وكانت الإجابات التى تملأ الإذاعات وشبكات التليفزيون والصحف هى إجابات عدد محدود من المسئولين فى الإدارة الأمريكية الذين جاءوا إلى البيت الأبيض مع الرئيس جورج دبليو بوش فى يناير ٢٠٠٠ ولم نجد إجابات كافية لأسئلتنا التى تعبر عن الدهشة والاستنكار معا: إذا كانت هذه الجريمة قد ارتكبها عدد من الإرهابيين المسلمين، فهل يعنى ذلك أن كل المسلمين إرهابيون، أو أن الدين الإسلامى ذاته ينطوى على الإرهاب كما تمادى وادعى البعض فى الولايات المتحدة؟ ولماذا خرجت الجيوش الأمريكية لضرب دول إسلامية وعربية، ولماذا كشرت الإدارة الأمريكية عن أنيابها لدول عربية وإسلامية ففرضت عليها الحصار الاقتصادى والسياسى ووجهت إليها التحذيرات والإنذارات والتهديدات؟

ولماذا تتهم الإدارة الأمريكية الدول العربية والإسلامية فقط دون سائر دول العالم بأنها دول غير ديمقراطية ولا تراعى حقوق الإنسان؟ ولماذا يعلن الرئيس الأمريكى أن هدف الحرب الأمريكية فى العراق تغيير العالم العربى وتوفير الأمن لإسرائيل؟ ولماذا لم يخطر على بال أحد فى أمريكا أن إسرائيل تحتاج إلى تغيير سياستها العدوانية تجاه العرب وممارساتها ضد حقوق الإنسان الفلسطينى؟

لابد أن هناك شيئا ما حدث فى الولايات المتحدة، شيئا أقرب إلى الانقلاب، جعل مواقف الإدارة الأمريكية وسياساتها تجاه الدول العربية والإسلامية يتغير، من النقيض إلى النقيض.. هل هو انقلاب؟ أو هو كشف لنوايا قديمة جاء الوقت لإعلانها عندما حانت الفرصة للتعامل مع العالم العربى والإسلامى بالصواريخ والقنابل الذكية بعد أن كان التعامل بالحوار السياسى والدبلوماسى..؟

ودفعنى كل ذلك إلى البحث عن إجابات لهذه الأسئلة الحائرة، وكلما تكشف الموقف الأمريكى ازدادت رغبتى فى المعرفة، ولم ألجأ فى بحثى عن الإجابات إلى مفكرين فى العالم العربى طلبا للمعرفة، ولكنى لجأت إلى مفكرين أمريكيين، حيث لا توجد مظنة العداء أو التحايل أو الجهل. وصاحب البيت أدرى بما فيه كما كان يقول الشعراء القدامى.

وقد جمعت بعض هذه الدراسات فى هذا الكتاب ظنا منى بأن هناك قارئا - مثلى - تدفعه الدهشة والحيرة إلى البحث عن إجابات لأسئلة حائرة، هى فى الحقيقة أسئلة يتوقف على إجابتها المصير العربى والإسلامى.

وهؤلاء المفكرون الذين أقدم رؤيتهم لأمريكا من الداخل ليسوا كل المفكرين الأمريكيين الذين طرحوا رؤاهم، ولكنهم مجرد عينة، ومن أمثالهم كثير أتمنى أن أقدم ما كتبوه ولكن لكل كتاب حجما لا ينبغى أن يتجاوزه، وأمامى جبال من الكتب والمقالات والدراسات قد أجد الفرصة لتقديمها فى وقت ما.

والمهم أن نشير إلى أن دراسة وفهم استراتيجية وسياسة الولايات المتحدة يجب أن تكون لها الأولوية الآن، فالولايات المتحدة الآن تتربع على عرش العالم، وهى بالفعل - كما قال بعض المفكرين - تقوم ببناء إمبراطورية وتسعى إلى أن تشمل هذه الإمبراطورية العالم كله على الأقل بالنفوذ والسيطرة الاقتصادية والسياسية. وبالاختلال العسكرى أيضا فى زمن قيل : إن الاستعمار والاحتلال من مخلفات الماضى، ولكن فى الولايات المتحدة الآن من يقول: ما دمنا قد أصبحنا أقوى دولة فى العالم، وبلا منافس،

فلماذا لا نستخدم هذه القوة لإرغام العالم على الخضوع لنا والاستجابة لمطالبنا وتحقيق مصالحنا؟

البعض يقول : إن هذه نزعة إمبريالية، من بين السياسيين من لا ينكر أن هذه نزعة إمبريالية، كما أنهم لا ينكرون أن القوات الأمريكية فى العراق هى قوات احتلال، وكما يعترفون بأن الحرب التى بدأتها الولايات المتحدة هى حرب عالمية.. هى الحرب العالمية الثالثة وهى مستعرة الآن تحت شعار الحرب العالمية على الإرهاب، وقد أعلن الرئيس الأمريكى صراحة أن هذه الحرب ليس لها ميدان قتال واحد ولكن الكرة الأرضية كلها هى ميدانها.

لابد أن نفهم المجتمع الأمريكى، والعقلية الأمريكية، والاستراتيجية الأمريكية، والسياسة الأمريكية، لسبب واحد هو أن أمريكا قررت أن يكون القرن الحادى والعشرون قرنا أمريكيا وبدأت فى التنفيذ فعلا، فكيف لا تكون أمريكا محور اهتمام العالم وهى التى تقرر مصائر شعوب ودول وتحكم وتتحكم، وتطالب غيرها بما لا تفعله هى.. نطالب جميع الدول العربية والإسلامية بتدمير كل قدرات إنتاج أسلحة دمار شامل ولا تطلب ذلك من إسرائيل التى تمتلك بالفعل أسلحة نووية وبيولوجية وكيمائية، وأمريكا تعلم ذلك جيدا جدا.. وتطالب دول العالم بفتح الحدود وإلغاء القيود الجمركية على الواردات الأمريكية وحرية التجارة بينما تغلق حدودها وتعرض زائريها لإجراءات مهينة وتفرض القيود على الواردات، حتى الواردات الأوربية. وتطلب محاكمة مجرمى الحرب وتستثنى جنودها من المحاسبة والمحاكمة على جرائم الحرب، وترغم الدول على التوقيع على قبول جرائم الحرب الأمريكية والتعهد بعدم طلب المحاكمة عليها.

هذا جانب من حقيقة القرن الأمريكى.

فكيف لا نتفرغ لدراسته وفهمه على الأقل لكى نعرف كيف يمكن التعامل معه بأقل قدر من المخاطر وبأكبر قدر ممكن من الأمن والأمان.

وفى النهاية فإن المصريين، والعرب، وأنا شخصيا لا أشعر بأدنى درجة من الكراهية لأمريكا كدولة، ولا الأمريكيين كشعب، بالعكس أنا شخصيا أشعر أن الشعب الأمريكى قريب إلى قلبى.. فهو شعب طيب ويحب الغرباء ومنفتح على الآخرين.. ليست المشكلة فى الشعب الأمريكى أبدا.. المشكلة فى السياسة الأمريكية.

وهذا ما يناقشه هذا الكتاب .

رهب البنا